ديوان

العزف
على قيثارة الزمن

للشاعر : حسين نجم

كنت قد أعطيت لهذا الديوان عنوان . النقش على جدران الزمن . .. وجرت الإشارة في الصحافة من سنوات إلى إزماعي إصدار ديوان بهذا العنوان . إلا أنني تبينت مؤخرا . وخلال الطباعة الأولية للديوان .. أن هناك برنامجا تليفزيونيا بعنوان . نقوش على جدار الزمن . . فآثرت تغيير عنوان الديوان إلى . العزف على قيثارة الزمن . .

عالم الكتب

نشر. توزيع . طباعة

❖ الإدارة :
16 شارع جواد حسنى - القاهرة
تليفون : 3924626
فاكس : 002023939027

❖ المكتبة :
38 شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة
تليفون : 3926401 - 3959534
ص . ب 66 محمد فريد
الرمز البريدى : 11518

❖ الطبعة الأولى
1425 هـ -- 2005 م

❖ رقم الإيداع 2057 / 2005

❖ الترقيم الدولى I.S.B.N
977- 232-438 -5

❖ الموقع على الإنترنت : WWW.alamalkotob.com

❖ البريد الإلكترونى : info@alamalkotob.com

مطبعة أبناء وهبة حسان
٢٤١ (أ) ش الجيش - ميدان الجيش
ت : ٥٩٢٥٥٤٠ / القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى كل إنسان مازال إنسانا

حسين نجم

أغنية

من مواطن مصرى فى حب مصر [١]

—

يا مصـــرُ .. يا أمـــآه ..
يا أبديّة العُذْرية الخضراء
.. بالتاريخ والأمجاد تكتحلُ ..
سمراءُ .. فى ديباجها ..
ترتاح .. فى أُرْجُوحة
الزمن الرطيـــب ..
ولا تنام إذا دنـــت
من ثوبها النُّـــذُرُ ..
فى نيلها يتوضّأ القمر ..
والشمس تغسل ضوءَها
فيه .. وتسترخـــى ..
ويكسوُ وجهَهَا .. بالرقّة .. الخَدَرُ
.. وعلى أهازيج النسيم ..

سنابلٌ تحـــنُو

على النهر المتَيّمِ بالخلود

فتنْتَشى .. فى عسْجد الخَمر الطَّهور ..

عرائسُ الأزمان .. والصور ..

.. يا مصر .. يا حُلُماً

بأجفان الخلود .. مرقْرقاً ..

وقصيدةً علْويَّة ..

تَنْساب فى أرضٍ رؤُومٍ ..

حضنُها وطَنٌ ..

ومُرُوجُها رحِمٌ

لفخْر حضارةٍ وُلدَت ..

وثدْى أرضعَ التاريخَ

مجداً صانه الأثر ..

.. أمّاه .. يامصر ..

احتَضَنْتِ سنِيَّنا ..

وحنيننا .. وجنوننا ..

وجميعُنا قصُرتْ خُطاه
عن المؤمَّل فيه منْك
وصفْحُك العُذْرُ ..
.. مازلْتِ .. ياأُماه ..
أبْقَى أغنيات الصبر ..
أبْهىَ فاتنات الدهر ..
مهْوىَ مُهجةِ التاريخ ..
حتى وهْو ينحسرُ ..
حتى وهْو ينتصـــــر

حسين نجم
فى ٢٠٠١/٤/٢٢

---

(١) كتبت كأغنية شعرية .. ونشرت فى جريدة « الشرق » القطرية يوم الثلاثاء أول مايو ٢٠٠١.

بلا عنوان

—

.. لعلّك .. أيها القارىء الكريم .. تتساءل لماذا طالعتك قصيدة « من مواطن مصرى فى حب مصر » فى مستهل هذا الديوان وقبل أية كلمة تقديم لقصائده .

وواقع الحال أن تلك القصيدة لم تكن من قصائد هذا الديوان التى قدّم لها شيخ النقاد العرب الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى (« سيوطى العصر » كما وُصف فى الكتب العديدة المؤلفة عنه) بمقدمته القيّمة .

ولكن تلك القصيدة (من مواطن مصرى فى حب مصر) قد فرضت نفسها فى صدر هذا الديوان .. كأغنية شعرية أودعتُها .. وأنا فى غربتى فى قطر الشقيقة .. دفقة حنين إلى الوطن والأم .. مصر الغالية .. فلم أستطع أن أؤجل تقديمها فى ديوانٍ إلى حين آخر .. مثل العديد من القصائد الأخرى التى واكبت أو تلت .. زمنياً .. قصائد هذا الديوان

حسين نجم

[العزف على قيثارة الزمن]
بين قرن ماض وقرن آت [١]

تصدير

بقلم د٠ محمد عبد المنعم خفاجى

هذا هو الشاعر الكبير المستشار حسين نجم المفكر الفيلسوف ، الناقد للحياة ، للفكر ، وللإنسان ، فى عصر الشتات والضياع ٠

وهذا هو ديوانه الجديد (العزف على قيثارة الزمن) الذى يسجل فيه كل تيارات الفكر والحياة فى قرن مضى ، مستقبلاً به قرناً جديداً نشاهده رأى العين ، ونرى صورة مصغرة له فى إحدى قصائد شاعرنا الكبير فى الديوان ، وهى قصيدة «رحلة الزمن » ٠

الشاعر حسين نجم لا تَسَل عن تجاربه الشعرية ولا عن رؤاه وخيالاته وتصوراته لمسيرة الزمن ، ولا تسل عن خبرته بأخلاق العصر والمجتمع والحياة والأجيال المتواصلة ، ولا عن عمق

إحساسه بآلام البشرية ، وتطلعات الإنسان وسط ضباط كثيف لا تستبين فيه الرؤية . فكل ذلك مما رسمه مصوّراً فى قصائد هذا الديوان ، الإحدى والعشرين قصيدة ، الزاخرة بالفن والجمال ووهج الشاعرية ، وبضياء الفكر وتراتيل الإلهام والأمل.

وإحساس الشاعر بوقع الزمن ، وبدبيب المواكب الزاحفة على أشلاء القيم والأمثل والإنسان والحياة نفسها ، هو إحساس عميق عمق فكره ، وعمق فنه ، وعمق إلهامه .

ولو سألنى سائل : ماهو الديوان الشعرى الجديد الذى نستقبل به القرن الجديد لقلت له : هو هذا الديوان ، ديوان الشاعر حسين نجم ، وفى قصيدته « رحلة الزمن » صورة مصغرة لمثل هذا التحول الزمنى .

فى الصور الشعرية التى يصوغها الشاعر وينسج لحمتها وسداها من خياله المتوهج ، شىء كبير من الرمزية ، بل ومن السريالية ذاتها مما يختلط بلمحات رومانسية قوية نلمسها فى مثل قصيدته « لاتقل لى ذكريات» ، وذلك مما يُسيغ لك أن تقول عن شاعرنا إنه رومانسى ، فإن قلت ذلك صدقت المقولة . وإن قلت إنه شاعر رمزى لم تكن بعيدا عن الحقيقة ، وإن قلت إنه

سيريالى النزعة صدقتك قصائده وصوره الباطنية العميقة ... ومع ذلك ففى هذه القصائد الإحدى والعشرين من لمسات الواقعية وآثارها ما فيها من رصد ونقد وتفاؤل وسمو بالحياة وأمل فى مستقبلها .

إننى لا أحدثك عن الشاعر الكبير المستشار حسين نجم . فقصائده الإحدى والعشرون تنبئك عن ذاته ، وتترجم عن نفسه، وتعبّر عن فكره ، وتقول لنا الكثير ، مما لا يستطيع غيرها أن يقوله .

وهذه القصائد التى يضمّها هذا الديوان شطرها من الشعر العمودى ذى الموسيقى العالية والتجارب العميقة والصور الباهرة والجديدة .

والشطر الثانى من قصيدة الشعر الحر أو قصيدة التفعيلة التى نتمثلها فى شعر نازك الملائكة ، وفدوى طوقان ، ونزار قبانى ، والسياب ، والبياتى ، وصلاح عبد الصبور ، وأضرابهم.

فالقصائد العمودية فى الديوان ثمانٍ ، تتمثل لنا فى القصائد الآتية :

١ - « لاتقل لى ذكريات » وهى قصيدة عاطفية عالية الدرجة ، تمتاز بموسيقاها وحلاوتها ، ويعبر فيها الشاعر عن ذكرى حب بائد ، وهى من مجزوء بحر الرمل .

٢ - « متى يعلنون حضور العرب » ، وهى قصيدة يردّ فيها الشاعر على « نزار » فى قصيدته « متى يعلنون وفاة العرب» ، وهى أمل فى صحوة عربية جديدة ، وهى من بحر المتقارب.

٣ - قصيدة « لقاء الفكر » ، وهى عن لقاء بأصدقاء فى رحلة تُبهج الحياة ، وهى من بحر السريع .

٤ - قصيدة « النسر الغائب » ، وهى رثاء لعبد الناصر بعد ربع قرن من وفاته ، وهى من بحر السريع .

٥ - قصيدة « على أشلاء ماضينا » ، وهى من بحر الكامل ، وما أجمل ما يقول فيها شاعرنا الكبير .

فى أرضنا للعقل أسوار

لا النور تُنفذه ولا النـــار

ويقول فيها كذلك :

فى أرضنا يُستأصل النور

والليل يحمى عسفه الزور

ومصيرنا فى الأفق محفور

لكن على أشلاء ماضينا

٦ - قصيدة « أين نحن » ، وهى من المتدارك ، وفيها لمحات إنسانية عالية ، وفيها يرصد الشاعر نقده لأجيال اليوم.

٧ - قصيدة « رحلة الزمن » ، وهى فى وداع عامٍ واستقبال عام، وهى من بحر المتدارك .

٨ - قصيدة « كيف ضاعت » ، وكأنها حديث عن فقد عزيز عند الشاعر أو حبيب أو شىء آخر .. وهى من الرمل .

ومع ذلك فإن شاعرنا الكبير يحدث تجديدات كثيرة فى هذه البحور التى صاغ منها قصائده الثمان :

تجديدات فى الموسيقى والوزن والقافية ، وتجديدات فى البناء الفنى للقصيدة ، بل وفى البيت الشعرى بمفرده ، مما نجد صداه فى الديوان .

وقصائد الشعر الحر الثلاث عشرة فى الديوان هى :

١ - قصيدة « الأصداف والبحر » ، وفيها يتحدث الشاعر عن رحلة الحياة والوجود .

٢ - قصيدة « سأظل » ، وهى إعلان عن الصمود العربى فى معارك السلام والحرب .

٣ - قصيدة « مذبحة الرهبان السبعة » فى أرض الجزائر .

٤ - « الظلمات والفارس » ، وهى عن الإنسان المثقف وغربة ضميره الحى فى زمن فقدان النور .

٥ - قصيدة « ضاع الزمان » ، وهى فى ذكرى حب مضى .

٦ - قصيدة « الطوفان » ، وهى عن العصر وما أحدثه فى حياة الإنسان والبشرية من تحولات رديئة .

٧ - قصيدة « قبل السفر » ، وهى عن رحلة العمر قبل السفر الأخير .

٨ - قصيدة « ديانا » .

٩ - قصيدة « جارودى والمحرقة » ، وفيها يعبر الشاعر عن الفكر الحر وما يلقى من عذاب واضطهاد .

١٠ - قصيدة « خلجان الوهم » ، وهى تصوير لانقلاب المفاهيم.

١١ - قصيدة « سيزيف والصخرة » ، وهى عن الإنسان وضياعه فى زمن الضياع .

١٢ - قصيدة « خمسون عاماً » ، وهى عن تاريخ مأساة فلسطين التى عبرت الخمسين عاماً فى كفاح متواصل .

١٣ - قصيدة « مسافر » ، وهى من الكامل المشطور ، وهى عن اغتراب الشاعر فى حياة بعيدة عن قيمه ومُثله .

وما أصدق ما يقول فيها الشاعر :

الحق فى أرضى سجين

إننى لا أستطيع أن أصور لك فكر الشاعر ومضامينه الشعرية فى قصائده الإحدى والعشرين ، ولا أن أقول لك الكثير عن آرائه فى شتى جوانب الحياة ، سواء من الجانب الاجتماعى أم السياسى أم الفكرى والإنسانى ، ولا أستطيع أن أحدثك عن مفهومه حول القيم والرؤى والتجارب .

كما لا أستطيع أن أقول لك إن الشاعر كتب فى الحب وفي الرثاء وفى الوطنية وفي السياسة وغير ذلك كله ، لأن ذلك سوف تجده مصوّراً فى قصائد الديوان كلها .

ماذا أقول لك وشاعرنا الكبير المستشار حسين نجم قد قال الكثير والكثير فى هذه القصائد الإحدى والعشرين ، التى يضمها هذا الديوان الجديد الرائع الذى نستقبله بالفرحة مع

مطلع القرن الجديد . إحدى وعشرون قصيدة تؤرخ لحياتنا وفكرنا وتؤرخ لعصرنا وأجيالنا الماضية والحاضرة .

إن الديوان ليستحق منا كل اهتمام وتقدير وتكريم ، وبحسبنا أنه اليوم أبرز ديوان نستقبل به القرن الحادى والعشرين .

محمد عبد المنعم خفاجى

---

(١) كتب شيخ النقاد العرب مقدمته الثمينة هذه عن الديوان عام ١٩٩٩. المؤلف

كلمة المؤلف

هذه المجموعة هى الثالثة من بنات قصيدى .. فقد سبقتها إلى القارىء الكريم مجموعتان انتظمهما ديوانان .

أولهما : ديوان « نسمات وأعاصير » الذى صدر عن دار المعرفة عام ١٩٥٩ واعتمدته وزارة الثقافة حينذاك لقصور الثقافة .. وقد اقتصر ذلك الديوان على مجموعة مختارة من القصائد القومية والإنسانية مما جاش به وجدانى وأترع به فكرى خلال تلك الفترة القصيرة المجيدة من تاريخنا العربي الحديث .. التى عبرت سماء العروبة كالشهاب .. بدءاً من تأميم شركة قناة السويس عام ١٩٥٦ وانتهاء بالوحدة (الشهيدة) بين الشقيقتين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ .. وهى الوحدة التى بدت.. حينذاك .. وكأنها اللبنة الأولى من لبنات حلم الوحدة العربية الشاملة الذى تتربص به .. دواما .. قوى معادية كثيرة تحرص على إجهاضه وسحق براعمه كلما بزغت تحت شمس التاريخ .

وثانيهما : ديوان « أغانٍ على ضفاف العمر » الذى صدر

عن « الهيئة المصرية العامة للكتاب » عام ١٩٩٥ .. وهو .. على نقيض سابقه من حيث المدى الزمنى .. يضم بين دفتيه قصائد تخيّرتُها مما انفعلت به وكتبته ، من شعر قومى أو وجدانى أو تأملىّ أو إنسانى ، طوال الفترة الممتدة من عام ١٩٤٦ .. حين كنت فى ميعة الصبا .. حتى عام ١٩٩٠ .. حين تقاعدت من عملى ورسالتى كرجل قضاء .

وقد كان حملى لهذه الرسالة فى محراب العدالة هو الذى دعانى إلى الاعتكاف والاحتجاب عن المحافل الأدبية عشرات السنين .. بعد أن كنت قد بدأت مسيرتى تحت لواء جماعة أبوللو الشعرية .. مزاملاً فىَ الخُطَى الأولى لكوكبة مرموقة تتفاوت بينها المشارب والأعمار .. وتضمّ الشعراء محمد الفيتورى وأحمد عبد المعطى حجازى وفاروق شوشة والراحلين الكرام صلاح عبد الصبور وصالح الشرنوبى ومحمد الجيار .. وغيرهم .

وقد كان للصديقين العزيزين .. الأستاذ الجليل الدكتور أحمد هيكل .. والشاعر الناقد المستشار أحمد لطفى عبد الفتاح . فضل تشجيعى على إخراج ذلك الديوان (أغانٍ على

ضفاف العمر) إلى النور عقب تقاعدى وانعتاقى من العُزلة التى ألزمت نفسى بها طوال جلوسى على منصة القضاء .

أما هذا الديوان الثالث .. الذى أشرُف بأن أضعه بين يدى القارىء الكريم .. كما أشرُف كثيراً بالتصدير الذى قدّمه به شيخ النقاد العرب الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى .. فهو ديوان يضم بين حناحيه قصائد مختارة مما فاض به وجدانى وفكرى خلال عقد التسعينات من القرن العشرين الذى ودّعناه مؤخراً .

وهي قصائد سبق نشر معظمها .. فُرادىَ .. فى صحف خليجية .. وقد تخيّرتُ لهذا الديوان ما لايرتبط ارتباط لزومٍ بواقعة بعينها .. وما يخاطب وجدان الإنسان بعامةٍ ووجدان الإنسان العربى بخاصة .. دون قيد من زمان أو مكان .

وقصارىَ أملى أن يستوى هذا الديوان وريقة خضراء فى دوحة الشعر العربى الباسقة .

حسين نجم

رحلة الزمن

—

(نشرت فى جريدة « الراية » القطرية يوم الثلاثاء ٢٦ ديسمبر ٢٠٠٠

تحت عنوان « خيول المغيب »)

على معْبَرٍ خالد .. للزمن ..
توالت خيول المغيبِ الأخير
لعامٍ تسرَّب فينا .. طويلا ..
ومرَّ .. وفى ثوبه عطرُنا ..
وحيناً دمانا وأحزانُنا ..
وكلُّ الذى ناله نالنا ..
ونبضُ لياليه منّا .. لنا ..
.. ومرَّت خيول المغيب الأخير
مثقّلةً .. تمتطيها الخطوبُ
ويرقُبها البدرُ .. من عرشه ..
وترنو إليها صغار النجوم
وتومضُ أعينُها بالفضول

تمازجه عَبرةٌ حائرة
تودّع ركب المغيب الجليل
* * *

.. وقبْلَ تماثُلِها للرحيل ..
أشارت لنا نجمةٌ باسمة
تُواعِدنا .. فى غدٍ .. للّقاء
على الحُب فى ركنها بالسماء ..
لنشهد أوْجَ احتفال المساء
بأول خطْوٍ لعامٍ جديد ..
.. ومدَّت إلينا شعاعاً رهيفا
يرطّب أنفُسَنا بالصفاء ..
وقالت : « وداعا .. إلى المُلتقىَ » .
* * *

.. وفى الأفْق رفَّ الضياءُ البعيد
لفَجرٍ بشُوشِ المحيَّا .. غرير
يرى كلَّ شىء بلون الورود ..

.. وداعب .. بالضوء .. وَسْنَى المروج
ووشْوَشَ أزهارَها .. فانتشت
نُطالع فيها عيونَ الأمل
بعامٍ .. بمهْدِ الأمانى وليدْ ..
وإن كان فى حِضن عُمرٍ سجينٍ
وتشبه عيناه عينَىْ شهيد ..

الأصداف .. والبحر

(ألقيت فى حفلٍ عام ١٩٩٠ ونشرت فى جريدة « الشرق » القطرية فى ٨ أبريل ١٩٩٣)

ذابت الأعوام .. وانسابت على موج الزمنْ
فى عُبابٍ دافق نحو الغيوب
.. وعلى طُول المَدى ..
يزخر التيارُ بالأصداف .. آلافاً .. تجُوب
كلَّ أعماق الليالى ..
غائراتٍ فى انْبهارٍ مُستكِنْ
بين زهْوٍ .. وشجن ..
وازدهارٍ .. ووَهَن ..
تتلاقى .. تتباعد ..
تتجافىَ .. تتواعد ..
ربما .. فى أىّ حِين ..
بعضُها يجمعه ركنٌ حنُون
تخلُد الأصداف فيه للحنين ..

تتحامىَ فيه من وقْع السنين ..
إنما التيارُ عاتٍ .. لا يلين ..

* * *

كمْ من الأصداف علاَّه على الموج الخطَرْ ..
كم من الأصداف أدْناه من القاعِ الحذَر ..
كلُّها .. فى لمْحة العين .. صدَفْ ..
كلها .. فى اليمِّ .. يمضى .. ينجرف ..
إنما شتَّان ما بين القلوب ..
.. رُبّ أصدافٍ مضت تحتضن الدُرَّ .. ضميرا
وتُنَمّيه بنوْبِ القلب .. خَفْقاً وشعورا ..
كامنٌ فيها ضياءُ اللؤلؤ الحُرّ .. طَهوُرا ..
وهْىَ ..فى العُمق السحيق ..
تتخطّاها عيونٌ لاتَرىَ
غيْرَ مصنوعِ البريق ..
ومع التيار .. أصدافٌ كثارٌ .. لامعات ..
جوفُها ليس به إلا هُلام

كُلَّ حينٍ يتشكّل
وِفْقَ أمواجِ الزمان ..
باجتهاد .. وانتظام ..
وبعُمق العُمق أصدافٌ خَوَافٍ .. جافيات ..
جوفُها ليس به إلا ظلام
وفُتاتٌ من رمال .. وحطام ..
وتباريحُ انهزام وارتطام ..

* * *

.. ومضَى التيارُ بالأصداف .. شتىً ..
بعضُها .. فى وَهْمِه .. يسعَى يمينا ..
بعضُها .. فى وهْمه .. يسعى يسارا ..
بعضُها .. فى وهْمه .. جِدُّ سعيد ..
بعضُها يحسب مسْعاه انتصارا ..
يعضُها يكمن فى كهفٍ .. فِرارا ..
إنما التيار بالكُلّ محيط ..
دائبُ السعْى .. ببأسٍ لايحِيد ..

فى مسارٍ لا يعود ..
تَدفع الأيامُ فيه كلَّ شىء للشُّطوط ..
وعلى الشُطْآن تنْداح .. مع الموج .. المصائر
فى نشيدٍ سَرْمَدىٍّ للوجود ..

* * * * *

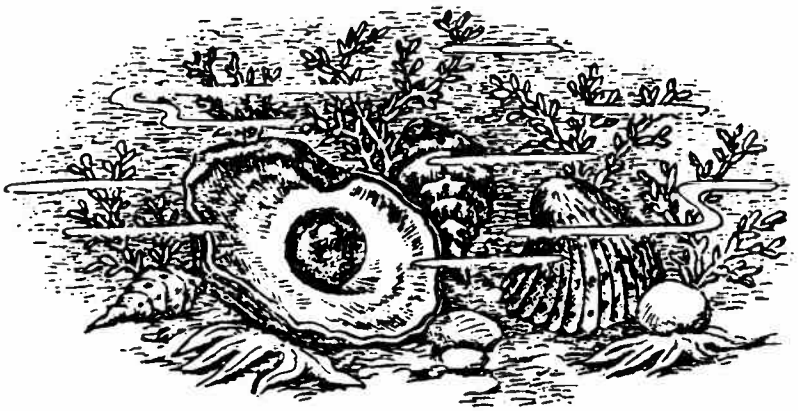

كيف ضاعت

(كتبت عام ١٩٩٣ ونشرت فى جريدة « الراية » القطرية يوم السبت ٢٣ نوفمبر ١٩٩٦)

كيف ضاعت ؟

ساءَل النفس .. طويلا .. كيف ضاعت
وهْى ما كانت لدُنياه حريقاً .. ورحيقا ..
نادَم الأيام .. فى كاساتها .. يُسراً .. وضيقا
وتمشَّت فى حنايا رُوحه .. خِلاً وثيقا
وشغافاً عبقريا للَياليه .. لصيقا
.. فى صِباه .. فى هواه .. كانت السرَّ العميقا

* * *

كيف ضاعت ؟

وهو الضائع .. دوْماً .. فى متاهات ضياها
يحرقُ العمرَ .. عبيراً يتسامى فى لظاها
لم يكن إلا وميضاً للأمانى .. فى حِماها ..

ضمُرَتْ آفاقُه القُصـوىَ .. بُنوراً لِمَداها
لم يكن إلا غياباً حضُرت فيه رُؤاها

كيف ضاعت ؟

وهْو من عاش أسيراً عشقَ الأسْرَ لديها
أمْلَتْ العمرَ عليه كيفما مرَّ عليها ..
كيف ساقتْهُ .. نسيماً .. أو جحيما .. ما عليها
.. مُبحِراً فى لُجِّها .. ينشُد .. وهْماً .. شاطئيها
زادُه جُذْوةُ نارٍ .. والندىَ فى جانبيْها

* * *

كيف ضاعت ؟

حينما ظنَّ جَناها ماثلاً بين يديه
ودَنَتْ أضْواؤها تدْفُقُ آمالاً عليه
وتوارىَ كلُّ طيف .. دُونَها .. عن ناظريْه
وأشعَّت فى نُهاه .. وتغشَّتْ مسْمَعَيْه
ورأى .. فى وهْمه .. أنْ قد غدَتْ منْه إليه

* * *

كيف ضاعت ؟

أين ضاعت ؟

كيف .. حتى دوُنَ أصداءٍ .. تداعت

ثم ضاعت ؟

ساءَل النفس .. طويلا .. وطويلا .. وتنهَّدْ

ومضى يبحث عنها حيث كانت تتوقَّد

فإذا كلُّ الذى يلقىَ جليداً .. يتجمد

.. ودعا القلبَ ليأْسَى .. فإذا بالقلب جَلْمَدْ

والليالى جُثَّةٌ كفَّت عن النبض المُسهَّد

.. ورَنا للأفق .. فاصطَكَّ بكهف يتلبَّد

فطوى اليأسَ على لا شىء .. فى عُمْرٍ تماحىَ

.. وتبدَّد ..

*****

لا تقل لى : ذكريات

(كتبت خلال عام ١٩٩٣ - كأغنية - ونشرت فى جريدة « الشرق » القطرية يوم ٢٥ يناير ٢٠٠٠ بعنوان : « رباعيات »)

لا تقُلْ لىِ ذكريـــــاتْ
فالهوى ماضٍ .. وآت
وهْو مِلْءُ الحاضر النا
بِضِ فى قلبى .. حياة

* * *

عانَق الدنيا .. حنانا
وَسقاها .. وسقانـــا
بكئوسٍ من صفـــــاء
شَغَلت عنَّا الزمانـــا

* * *

نُوِّبَتْ فيها الليالـــــى
فى سُلافٍ من جَمـــال

ومَعانٍ يحتسى منـــ ..

ـها الهوىَ شهْدَ الوصال

* * *

وسرىَ الحبُّ غديـــــرا

فُى دِمانا .. وسعيِـــرا

نتهادىَ نارَه .. فـــــى

حانة الشوق .. زُهــورا

* * *

حاوَرَ القلبَ .. سنينـا

وضمَمْناه .. جنِينـــــا

كيف أفْنانا .. رُعُـوداً

وبُرُوقا .. وجُنونـــــا ؟

* * *

آه .. كمْ راقَ التمَنّـــى

وارتوىَ عمرُك منـِّـــــى

لم أكن ألمـــــحُ فـــى وَدْ

دِكَ أشواكَ التجَنّـِــــى

* * *

كيف أهرقْتَ الشبابـــا
وتعشَّقْـــتَ العِتابـــا ؟
وملأتَ الكأسَ هجـــراً
بعد أن طابت شرابا ؟

* * *

وتخالُ .. اليوْمَ .. قلبى
سالِياً عن جَمْر حُبـــى
وهْو ..إنْ أشرقْتَ ..لا يَلْـ
ـبثُ أن يُشعِلَ جنبِـــى

* * *

كم شراعٍ من فُتـــــون
ضاع فى موج الشجوُن
ونجونا منه .. يا عُمـــ
ـرى ..على شطِّ الحنين

* * *

ورعيْنا الحبَّ يحبـــــو
ثم يعْدُو .. ثم يكْبُـــو
وعلى الأشواق يرْبـــــو
أتُراه .. اليومَ .. يخْبو ؟

* * *

كيف ؟ والعمرُ تغَنَّـــــى
بنشيد فاضَ منـّـــــا
كم رواه البدرُ عنـّـــــا
حينما كان .. وكُنّـــا

* * *

لاتقلْ لى ذكريـــــات
فالهـوى مـــــاضٍ وآت
وهْو مِلْءُ الحاضرِ النا
بضِ .. فى قلبى .. حياة

* * * * *

متى يُعلنون حضور العرب

(كتبت حواراً مع قصيدة الشاعر الكبير نزار قبانى ، متى يعلنون وفاة العرب ، ونشر معظمها فى جريدة ، الشرق ، القطرية فى يوم الخميس ١٨ مايو ١٩٩٥)

سألتُ وما فى سؤالى عَجَبْ :
« متى يعلنون حضور العرب ؟
متى .. فوق أرض الشموخ القديم
يموت الخُنوع .. ويحيا الغضب ؟
* * *
.. تجوَّلتُ .. فى طُرقات الزمان
تسكَّعت .. فى جَنَبات الكُتب ..
أفتّش عن علَّة فى قُريشٍ
وعن آفة فى خلايا مُضَرْ
وعن سوسةٍ فى حنايا تبُوكٍ
وفى دم حطّينَ .. حين انتَصَرْ..

فلم أَلْقَ إلا سجايا الرجال
تضِيءُ القرونَ .. وتُحْيِي الرمال
وتنسجُ مَلْحمةً مِن ذهب ..
فماذا أصاب نسيجَ العرب ؟
وفى أىّ كهف بأرواحنا .
توارَى الضياءُ ..
توارَى النقاءُ ..
توارَى الإباءُ ..
وكلُّ الذى كان عِطْرَ القرون .
وزهْوَ الحقَب ؟
ومن أىّ كهف بأرواحنا .
تدفَّق ليلُ الخَنا والوهَن
وطمَّ علينا خبيثُ الركام
وَجلَّل أيامنا بالعطَن ؟
وفى أىّ منعطَف فى السنين
تربَّص بالروُح وحشُ الفتون

وأنشبَ أنيابَه فى دمانا
وأطلق فيها سُعارَ الترَف ؟
.. يُرَوِّضُ عَزْمَتَنا .. بالدَّنايا ..
وإدْمانِ كلّ حروفِ الكذب ..
تُعربد فوق جِباه الصُّحُف
وتأسرُ كلَّ احتفالٍ مهيب
وتملُكُ كلَّ نواصى الأدب

* * *

وغامَ الزمانُ .. وغام المكانُ
ولم يَبْدُ إلا ضبابُ الضَّياع ..
يحاصرنا فيه صوتُ الضِباع ..
تُحاول تُقْنعنا باحتضارْ
وأنَّا مغيبٌ .. وما مِن نهار ..
وأنيابُها شُرَّعٌ فى انتظار

* * *

وأبحثُ عن نجمةٍ ساهرة

أضاعت بأمجادنا الغابرة ..
أُناشِدُها .. بالجُدود الكبار ..
لتُرسل ضوءاً .. من الذاكرة ..
يعالجُ أَدْواءنا الحاضرة ..
ويُنعش آمالَنا الضامرة
.. ولكنها ضحكتْ .. ساخرة ..
فكيف يفيد ضياءُ السماء
ونحن نُكَرّسُ فِينا الوباء
ونعبد أصنامنا الفاخرة ؟
و فى كلّ فَجّ .. بآفاقنا
مشانقُ منصوبةٌ للضمير
لكلّ انتفاضٍ لقلبٍ طَهُور
.. وفى كل فجٍّ بأرواحنا
مَتاجِرُ قد بارَ فيها الشرف
وراجَ التَّباهى بزادِ البطونْ
وزاد الخُدور .. وزاد الصَّلَفْ

وجلْجَلَ صوتُ النفاق الوثير
.. فخيمِ الحناجرِ .. عالى الرُّتَبْ
.. وبعد خُيول الفُتوُح الجِسام
لَهَوْنا بأَحْصِنَةٍ من خَشَب

* * *

وعشتُ مع الحسرة الحائرة
سنين التشرْذُم بين الشّعاب
وفُرْقَةَ أُمَّتنا .. فى الضباب ..
ومَمْضَ الخناجر بين القُبَلْ
وسُوقَ النَّخاسة باسْمِ السلام
تُزَوَّقُ فيه جوارِى الكلام ..
وفى سَكْرَةِ النفْطِ .. يَحلُو العناقُ
لكلّ معانى الرّضا .. والدَّعة
ورقْصُ المباخرِ .. والأقنعة
ونُغمضُ أعيُنَنا عن قَذىً
يُمَرِّغُ عزَّتنا فى التراب

وُيلقى بها فى وِجارِ الذئاب
ويسقى الفسادَ بماء الذهب
ليُزْهر أبْهَى زهوُر الفُجور
ويطْرَحَ أشْهَى ثمار العطب
.. وأصبح ممّا يُسَلّى السُّكارى
ويحْلُو .. على شاشة التِّلْفَزَة
مَذَلَّةُ بغدادَ حتى النُّخاع
ولابُدَّ تجثُو لهم .. شاكرة !
وَوَلْوَلَةُ الأرضِ فى القُدس .. قَهْراً .
لكلّ فُنونِ الزّنا صاغرة
وزلْزلةُ الروُّح .. قبْلَ المبانى ..
بكلِّ المؤمَّل فى القاهرة .

* * *

.. ولكنّ بذْرتنا صابرة ..
أُحِسُّ بها .. فى دمى .. غائرة
.. وأنتِ .. أيا نجْمتى الساهرة

.. ألم تلْمحى كيف طالَ النخيل ؟
رفيع المقام .. عميق الأصول ؟
أعاليه تزْهُو بخصْب الحياة
وعزَّة كلّ نفوس الأُباة ..
تُطِل على الشاطىء الفارسى
وفوق رُبَى ساحل الأطلسى
وفى هدْأة الليل ... تُحْيى السَّمَر
مع الأَرز .. فى أرض لُبنان .. حُراً
.. وحفْل المآذن فى القاهرة
.. وتحْنُو على بَرَدَى فى الخطَر
وتغسلُ .. بالطُّهر .. وجْهَ القمر
ليُبْحرَ .. عبْرَ جلال الصحارىَ
يروُعُ مَداها طُغاةَ البَشَر
وتسْكُن فينا .. بعُمقِ الجُدُود
وترفُضُ كلَّ صنُوف الحُدود
وكلَّ الذى أَتْقَنُوا من قيود

.. وكمْ من فتاةٍ .. وكم من فتىً
تحوْصَلَ .. فى مُقْلَتيه .. الأمل
وكم من جِباهٍ بلا لافِتاتٍ
سوى ما تقول دَرارِى العَرَق
تخُطّ الحياةَ .. بلا أُحْجيات
وتنشُرُ فى الأرض عطْرَ العمل
* * *

.. وفى مَعْمعان الحياة الكبير
أُحسُّ بهمْهَمة فى الصُّدور
تُنَبِّئُ عن بذْرةٍ كامنة
بأعْمقِ أعْماقنا الآسنة ..
.. ويوماً ستُنْبِتُ حُرَّ الرّجال
وتنتفضُ الأرضُ تحت الرمال
وتَسقطُ كلُّ دعاوىَ المحال
وتشْمُخ هاماتُنا .. بالجلال ..
وهُم يعلنون حضورَ العرب .
* * * * *

النسر الغائب

(كتبت في سبتمبر ١٩٩٥ ونشرت فى جريدة « الشرق » القطرية يوم الخميس ٢٨ سبتمبر ١٩٩٥ . تفاعلا مع مرور ربع قرن على رحيل جمال عبد الناصر فارس القومية العربية وعاشقها المناضل حتى الممات)

وهبتُ للتاريخ كلَّ الجِراحْ
وقلتُ : «حَسْبى أن يعيش الأمل »
مازلتُ لا أعرف أين الصباح
لكننى أدعو له .. لا أملّ

* * *

كم كان .. يوماً .. عُرْسَ آفاقنا
يبشِّرُ العزّة أناً لها ...
يغالب الدنيا .. بنا .. حْولَها
يزُفُّ للتاريخ أبطالَها ..
وكان .. يوما .. زادَ أحلامنا
.. ونحن نرقَى فى سماء الكفاحْ
فى صُحبة الحُلم النبيل الجناح

لانتَّقي غضْبات هُوج الرياح

* * *

.. يا إخوتى .. يا أُمُّ .. يا أُمَّتى..
هل ضاع .. حقًّا .. كلُّ حلم مُباح ؟
هل كلُّ ما فى كفّ أيامنا
أشْلاءُ آمالٍ .. وسِلْمٍ سِفاحْ ؟

* * *

... من عُنفوان النيل كان الفتى
ومن لظَى الصحراء كانت دماهْ
.. من اندفاع النيل عَنْفُوانُه
ومن عَطاء النيل أعطَى قُواه

* * *

رأىَ .. على وجه الزمان السجينْ ..
وَعيْنَى الأُمّ الرَّؤُوم الحنون ..
دموعَ قَهْرٍ ضاربٍ فى القرون
.. والغاصبُ المفتون لا يَرْعَوِى

والأمُّ .. فى أغلالها .. تتْزَوِى
تستصرخُ الأبناءَ .. عبْرَ الشجون
.. وهُم على أصنامهم عاكفون
.. طاحُوُن خَلْفٍ بينهم دائرٌ
هُم .. فى رحاه .. الطَحْنُ والطاحنون
.. وفى صميم القلب منهم شَجًى
وبئْرُ سُمّ .. طافحٌ بالمنون ..
قد فَجَّرتْه .. وسْطهم .. حَيَّةٌ
شمْطاءُ .. زرقاء الأذىَ والعيون

* * *

آهاً لما يَعْتامُ قلْبَ الفتى
والأمُّ ضَيْعَى .. قُدْسُها مستباحْ
عُرْيانةً .. من بَعْد ثوْبِ العُلا ..
والثوبُ ذو الأمجاد رَهْنُ الرياح
ألقت به الغربانُ فى مَهْلَكٍ ..
فى قُمْقم للجِنّ .. عالٍ .. مكِينْ..

.. مَن .. يا بَنِي العزّة .. يأتى به ؟
صاحَ الفتى : « إنىّ عليه الأمين ..
وإنّنى .. يا أُم .. نسْرٌ عنيدْ ..
وكلُّ من يمْضى معيِ لن يحيد ..
يا أُم .. إن القلب أَمضَى سلاح
والقلبُ لا يَخْشَى سياجَ المُتاح »

* * *

.. « يانسُر حاذِر .. فالأعالِي كمِينْ
وتحت جنْحَيْكَ الفسادُ الدفين
.. قد باع أعوانُك أحلامَنا
ومارَسوا فينا فُتونَ الجُنون » ..
لم يلتفتْ .. لم يستمع للسّنين
.. ومِنْ متىَ يستوْثقُ العاشقون ؟
وعاشقُ العزّة عالِي الذُّرا ..
فوق الحساباتِ التى تستكين ..

* * *

.. ومنْ ذُرا العزم النبيل العنيدْ
كان السقوطُ المُرُّ باكى البُنود
.. فالفخُّ منصوبٌ بعَرْضِ الوجود
قد أبدعَ الشيطانُ فى صُنعه
بكلّ طاغُوت « النظام الجديد »

* * *

.. وشَقَّت الفئرانُ صمْتَ الجُحورْ
تُنَظِّرُ الذُّلَّ الأليفَ الوثير
.. وكلُّ خفَّاشٍ دنا .. لاعِقاً
ماسالَ .. غَدْراً .. من دِماء النسور

* * *

« يانسْرُ .. حلّقْ .. وارتفعْ بالجراحْ
واصعدْ على الإعصار حتى الصباح ..
هَذى جُموعٌ مالها من مَدىً
تلْتفُّ حوْلَ الجُرح .. تَحْمى الأملْ
وشمِّرتْ عن عَزْمةٍ لا تُفَلّ » ..

.. وحَدَّقَ التاريخُ .. فى دهشةٍ ..
لم يَلْقَ .. قَبْلاً .. أُمّةً تشتعل ..
من جوْفِ أوْحالِ انْتكاس حزين ..
فى فَوْرةٍ تطْوى ظنونَ العِدا ..
لا صوْتَ يعْلُو فوق صوت الفدا
فالنصرُ لا يُسْقَى بَدمْعٍ مَهين ..
.. وانْشَقَّ صدْرُ الليل عن موْجةٍ
دفَّاقةٍ .. بالنُّور .. والصامدين ..

* * *

.. لكنَّ شيئاً ضاعَ بين الضلوعْ
والقلبُ أَضْوَاه انْسحاقُ الربيع
وصفحةُ التاريخ تذْوى .. أسىً ..
من بَعْد ما كانت بهاءً يضُوع ..
.. ووَدَّعَ النسرُ الدُّنا .. شامخاً
.. لم يستمع .. يوماً .. لداعِي الركوع ..

* * * * *

أين نحن ؟

(نشرت فى جريدة « الشرق » القطرية يوم ١٥ أبريل ١٩٩٦)

نعلُو بمساجـــد إيمانـــا
نرتاد كنائس .. قُربانـــا
لكنى أبحث .. فى زمنـــى
كى ألمح .. صدقاً .. إنسانا
نتوضأ..فى الإصباح..دماً
بجرائد تقطُر .. أحزانـــا
شيشاناً ..جُولاناً.. قدْساً
وفواجعَ كانـت لُبنانـــا
ويصبُّ التلِفازُ علينـــا
أهوالَ الدنيا .. أطنانـــا
ننعىَ أشْـــلاءَ براء تنـــا
أطفالاً .. تُذبح طغيانـــا
ونرى .. بعيونٍ دامعـــة
.. ما يمحَقُ فينا معنانـــا

.. نرنو .. بضمائر متخمة

بصَغارِ الدنيا .. ألوانـــا

والشاشة توُشك تصفعنـــا

غضَباً من خزْى مُحيآنـــا

..نتجرّع..فى كأس الخيبة

.. غصَصاً للنخوة تَنْعانـــا

ونعُبُّ .. ونَكْرَعُ ..فى خدَر

.. كالطين تشرَّب أدرانـــا

.. نستعذِبُ يأساً يكنُفُنـــا

وكأن الذِّلـــــة مثوانـــــا

نتهاوىَ .. داخل أنفُسِنـــا

.. أطلالاً تسكُن أبدانـــا

* * *

..وجدودٌ .. فى القبر..انتفضوا ..

كانوا للنجـــدة عنوانـــا

يرنون إلينا.. فى جَـــزع

.. والحاضر يَهْدم ما كانـا

تتعفَّن .. فينا .. جُذْوتُهـم

فتحُول رماداً .. دِيدانـــا

من نحن ؟ أَنَحن سُلالتهـم

أم أَنَّا نسْـلُ دَنايانـــــا ؟

.. نتكفَّأ لو نخْطُو .. فَرَقاً

نتعاطى الفُرقة .. إدمانـــا

تشتاق الأرضُ لمكرُمـــــة

فنصُبّ عليها قَطْرانـــــا

.. وديارٌ كانت عزَّتَنـــــا

صارت للعـزّة زنْزانـــــا

تُسْتهدفُ فيها عوْرتُنـــــا

..ونُناجى الغاصبَ..إذعانا

يتبارى زيفُ بلابلنـــــا

فى الخزْي .. يُلفَّق ألحانـا

والباغي يُرغم جبْهتَنـــــــا

فى حمْأَةِ عارٍ يغشانـــــــا

وتعربِدُ فينـا بطْشَتُـــــــه

ونزُفُّ إليـــه ضحايانـــــا

والفَجرُ البازغُ نسحقـــــــه

ونهيلُ عليـــه خطايانـــــا

.. وقرونٌ كانت ملعبنـــــا

نتوثَّب فيها .. فُرْسانـــــا

.. بخِلالِ تُشْـرِقُ مَرْحَمـــــةً

وإباءٍ يَدْفُق .. بُركانـــــا

.. تأتينا ..اليومَ..على أسفٍ

ترنو ..فى الوحل ..لبلْوانا

وتوَدُّ تمُدُّ لنـــا يدَهـــــــا

وتشُدُّ علينا .. أكفانـــا ..

*****

سأظلّ

(كتبت فى مايو ١٩٩٦ ونشرت بجريدة « الشرق » القطرية يوم ١٣ مايو ١٩٩٦)

لن أجْرَعَ النسيان مادامت عروقى نابضةْ
حتى ولو كلُّ الأعاجم والعرب
مَدُّوا إلى الصُّهيون كفًّا ساجدة
سأظلّ .. صدْعاً فى جدارٍ من صكوكٍ جامدة
ظنُّوه يمنع كلَّ نبض فى العروق الصامدة ..
.. سأظلّ .. كالوخْز الدفين ...
كالجَمْرة الحمراء فى حلْق الخنوع المستكين
.. سأظلّ صرْخةَ أُمة كانت على هام السنين
لاينحنى معنى العروبة .. رغْم زلزال الفُتون..
سأظلّ .. رغم عواصفِ الدولار .. موْجاً رافضا
يعْلُو .. إذا علَت العواصفُ .. لايهوُن
سأظلّ أخفُق .. رايةً مرفوعة ..
حتى ولو سقطَتْ .. تُسَبّح باسْمِهم .. كلُّ الحصون
.. سأظل .. ناقوساً يصلْصلُ يستفزُّ الخامدين ..

سأظل مولُوداً عنيداً من مواليد الشرف ..
لا يستريح سوى على صدر الكرامة .. فى عرِين
.. سأظل تيآراً بأعماق الليالى الآسنة
سأظل أُغْنيةً تطاردها الرياحُ الماجنة ..
فيزيدها الريحُ انتشاراً فى القلوب ..
سأظل وعْداً فى ضمير عروبتى .. رغم الخطوب ..
كلماتُه بدماء قانا[1] سُطِّرت ..
تنسَلُّ .. ثأراً مستكِنًّا فى الغيوب ..
وحروفُه من أَعْيُن الأطفال .. حين تحجَّرتْ
فيها البراءةُ والأمانى الواعدةَ
وتناثرت أشْلاؤهم .. ميراثَ ثأرٍ للقرون
.. سأظل .. بل سيظلُّ آلافُ الأُباة الصابرين ..
قطرات نِيرَان ونُور كاليقين ..
وستَرْتَوِى منها العروبةُ .. فى جَفاف زماننا ..
وتظل تنْبض بالحياة .. وبالأنين ..

---

(١) قانا قرية فى جنوب لبنان ارتكبت فيها إسرائيل إحدى مذابحها الوحشية عام ١٩٩٦ .

حتى يجيء الغيثُ .. من أعماقنا ..
يومَ التطهُّر والتوحُّد فى قلوبٍ ماجدة
.. وستلْتَقى أرواحُ قتلانا على نصرٍ مبين.

*****

مذبحة الرهبان السبعة *

(كتبت فى يونيو ١٩٩٦ عن الرهبان الفرنسيين السبعة الذين ذبحتهم فى الجزائر يد الإرهاب الأسود المنتسب زورا إلى الإسلام . ونشرت فى جريدة « الشرق » القطرية فى عددها الصادر يوم ٢ يونيو ١٩٩٦)

.. ورأيتُ .. فيما يُشْبه الحُلْمَ الحزين ..
قطرات دمع بلَّلتْ وجهَ المسيح ..
وتحدَّرتْ من مُقلة العذراء .. فى رسمٍ عتيق فى كنيسة ..
وترقرقتْ .. مثْلَ الندىَ .. فوق الهلال على المآذن ..
.. وسمعتُ .. فيما يُشبه الترتيلَ .. أنّاتٍ حبيسة
ونحيبَ صوْمعة .. وصلْصلةٍ لناقُوسٍ رصين ..
ونشِيجَ محرابٍ بهَمْهمةٍ تعيسة ..
وصداه فى حضْن المساجد بالأسىَ ..
تبكى له الجدرانُ .. فى شجْوٍ دفين ..
وتعانَق القرآنُ والإنجيل .. فى مرْثِيَّةٍ
بالنُّورِ تحتضن الضحايا فى حَنُوطٍ من دماء ..

* * *

سبْعاً من الرُّهبان .. لا دعْوىَ لهم
إلا الخشُوعُ يضُوع فى عُرس السماء ..
ذُبِحوا بسكّين الزمان المنتكِسْ ..
.. وهناك .. فى ظُلمات فِكْرٍ من قَتام
وكهوُف جهْل غُيّبتْ فيها الضمائر
وتسَرْبلَ التاريخُ فيها بالسَّواد ..
تنسلُّ أشباحُ الجناة .. كما الأفاعى ..
لا َهمَّ يعْنيها سوىَ أن تغرسَ السُّمَّ الزُّؤام ..
وتُشيعُ .. من عجَبٍ .. بأنّ بسُمّها تحيا الأنام !!
ويباركُ الشيطانُ من فرُّوا له .. من فُرْجةٍ
محفُورةٍ فى الغيب فى دَرَك الجحيم ..
.. وتروُعُ دعْواَهم تسابِيحَ النجوم
ومباسمَ الزهْر البرىء .. على التُّخوم ..
وسوانحَ الطير المغَرّد للحياة ..

* * *

.. فدماءُ كلّ ضحيّة سقطتْ لبغْيهمُ فريسة

خَطَّتْ على وجه الزمان .. بأحرُفٍ من طُهر عيسى :
« من يعرفُ الرحمنَ لا يسقي الفتاوىَ من دماءِ الأبرياء..
ويجُزُّ شريانَ التراحُم .. زاعماً حقَّ الإله ..
متجبّراً .. فوق المصائر والنفوس على هَواه ..
ومعربِداً فيها على نغم احتضار الآمنين ..
من يعرف الرحمنَ لا يرقىَ .. ابتغاءَ القُرب منه .. على الجماجم ..
من يعرف الرحمنَ لا يسعى إلى قتل التَّبتُّلِ والتُّقَى
.. فى أىّ دين .

*****

---

* كانت هذه القصيدة قبل أن تستفحل المجازر فى الجزائر وتصل إلى اللامعقول فى الهول والبشاعة إلى حد يتجاوز كل قدرة الأقلام علي التعبير .

الظلمات .. والفارس

(كتبت فى ديسمبر ١٩٩٦ ونشرت بجريدة الشرق القطرية فى١٣ ديسمبر١٩٩٦)

فى موكبٍ مثقَّل كليلْ ..
توَكَّأ الزمن
على عصا اغْترابِه الطويل ..
وليس فى رِكابه دليل
إلا غُيوبٌ مالَها بديل ..
تفحُّ .. فى ضَبابها .. المِحَن
ويَنْخَرُ السرابُ فى الأمل

* * *

.. وغابت العصورُ فى الذُّهول
.. وجلْجَلَ الزمانُ فى القِفار
والليل والنهار ..

وقال : « يا إنسان .. لا فِرار ..
طريقُنا موحَّدُ المَسار ..
وليس فى رِحالنا عهود ..
لطالب الأمان ..
وزادُنا معابرُ امتحان » ..

* * *

.. ورُوِّعَتْ مسابحُ النجوم
وزُلزلتْ كوامنُ البشَر
واصطكَّت العصورُ .. فى مَخاضة الدماء ..
تئنُّ تحت حِملها الوفير
من غابة الأشْلاء والقبور
وحوْمة العذاب والألم ..
.. وفى الرِّكاب ينْزَوِى الضمير ..
يجرْجِرُ القَدم ..
مكبَّلاً .. مكمَّماً .. منكَّسَ الشعور ..

وظلُّه الحزينُ يرتَمى
على مَدَى فجيعة البيان
فى كلّ ما أراقه اليَراعُ من حكَمْ
وكلّ ما أشعَّه القصيدُ من حَنان ..
* * *

وضاعت السنون فى متاهة العدم ..
وغامت الرُّؤىَ أمام فارس عنيد
يَودُّ لو يُصافح الخلود
ويعلنُ الجمالَ والصفاء
ويغرسُ النقاء
وينقذ الصباحَ من غَياهب العطَن..
.. لكنَّ كل غَيْهَبٍ مدجَّجُ السلاح
بالزيْفِ والخراب والعفَنْ
وكلِّ ما يُغلُّه السِّفاح ..
* * *

.. والفارسُ العنيد لا يحيد ..
لكنَّه وحيد ..
وحولَه تكاثَفَ الضباب ..
وأطْبَقَ السحاب ..
وأرْعَدَتْ فواجعٌ جِسام
وعرْبَدَ المطر
فى كلّ ما يُعزِّه الأنام ..

* * *

.. وفجأةً .. ترنَّحَ الزمن ..
وخَرَّ .. تحت وطْأة الشُّرُور ..
ولوْثَةِ العقول بالغُرور
والخوْض فى جَلالة الخليقة ..
.. وجُنَّت النَّواة
وفُجِّرَتْ كوابحُ الطُّغاة ..
وضاقت الحياةُ .. بالحياة ..
.. وحينما تراخَتْ القيُود ..

في قبْضَةٍ أصابَها الوهَن ..
إرتَجَّتْ القرونُ والعقود
وانْداحت العصورُ فى العصور
وضُيِّعَتْ معالمُ القِيَمْ
وهَيْمَنَ السُّعارُ والهَلَع ..
فى حُلْكَةٍ تغشَّت المصائر
نيرانُها سوداءُ بالخطايا
تُذيب .. فى جحيمها .. الضحايا
وتُعلن الحدادَ .. والعدم ..

* * *

.. وفى مَهَاوي العسْف والظلام ..
مازال .. من بعيد ..
يلُوحُ طيْفُ فارس عنيد ..
وفى يمينِ عزْمِه قلَمْ..
وفى صميم قلبِه ألم ..

* * * * *

مسافر

(كتبت فى ديسمبر ١٩٩٦ ونشرت فى جريدة « الراية » القطرية
يوم ٤ يناير ١٩٩٧)

.. ومسافرٌ
فى كل أشواق البشَرْ
فى كل أبْهاء الفكَر
فى كل أنْداء الأمل
فى كل أحشاء الضَّـياع
فى كل أنواء الصراع
.. ومهرولٌ .. متبَتِّلٌ ..
فى طهر محراب الألم
أزْجِى قرابينَ الشَّمم
.. متكَفِّىٌ .. متخبِّطٌ..
فى كل ما خطَّ القلم ..
.. مترَحِّلٌ .. دوْماً .. أنا ..
لم أسترِحْ ..
يوماً .. على صدر اليقين
فى أىّ معنى للكلِمْ ..

فالحقُّ .. فى أرضِى .. سجينْ ..
والنورُ .. فى قلبي .. طعين
ولكلّ حرف ألفُ معنىً
كلُّهَا زيْفٌ رصِين..

* * *

وظننتُ يوماً أننى
أَسكنْتُ فى قلبى القمر
وغزوتُ ليْلِيَ بالسحَرْ ..
فإذا المحاقُ يهزُّنى ..
فى عُمق قلبى .. كالجُنون ..
.. وصرختُ .. فى صمت العدم :
« لِمَ .. يا عدَم ..
لمَ حين نبنى ننهدم
وحصادُنا .. يوْماً .. ندَم ؟
.. لمَ .. فى كتاب الكونِ ..
تلفُظُنا الحروفُ الصاعدة ؟
.. لمَ كلُّ حرفٍ فى السطور
نطِلُّ فيه .. فننهزم ؟»

* * *

.. ومضيتُ أستَجْدِى الزمن
قطراتِ وهْم باسمة ..
فى وجه يأس مستكين ..
فى حلْكة العُمر الضنين ..

* * *

.. وعلى سريرٍ من لهَبْ
حُمْ الزمانُ بمُهْجتى ..
وحرقتُ كلَّ الطّينِ فى جسَدِى
بنيران الغضب ..
.. وتوهَّجَ التَّنُّورُ .. بين جَوانحى ..
وصبَبْتُ ثَوْبَ سريرتى فى بوْتَقَة
من صُنع آلاف السنين ..
.. ورَنا الزمانُ .. مقَهْقِهاً لفجيعتى ..
حين التفَتُّ لكى أرانِىَ ..
فى صميم المحْرقة ..
مَسْخاً من الفَخَّار
ممْهُوراً بإمضاءِ العدَم..

* * * * *

ضاع الزمان

(كتبت فى عام ١٩٩٧ ونشرت فى جريدة « الراية » القطرية
فى ١١ فبراير ١٩٩٧)

.. ضاعَ الزمانْ ..
ضاع المكان
لم يبْقَ إلا دمعتان
فوق القمر
تتحدَّران ..
.. وبكيْتُ .. فالحبُّ احتضرْ ..
وخسرْتُ قلبى فى الرِّهان ..

* * *

وسهرت .. أستدعى الصُّوَرْ
وألُمُّ أطْرافَ العُمُرْ
وحكايةً كانت لنا
منسوجةً من عُمرنا
.. من زهرةٍ
أسقَيْتُها .. يوماً .. فؤادى
وتضوَّعَتْ..

فى مفْرق الحُب الجميل ..
.. من همسةٍ
نوَّيْتُ فيها مُهجتى
ومضى النسيمُ يزُفُّها
فى كل أفراحِ الأصيل
.. من خفْقةٍ
ما بين قلبيْنا سرَتْ ..
لحناً بأفواه الزَّهَرْ ..
عقْداً على جيد الهوى..
إكليلَ غارٍ للربيع المنتصر
.. ولكَمْ تعاهَدْنا طويلا ..
فى حِمىَ الصمت المبين ..
ولكَمْ نسِينا أنها
الدنيا .. ولم ينْسَ القَدَرْ..

* * *

.. ما كان .. كانْ ..
لا عَتْبَ إلا أننا ..
فى غفلةٍ من حُبنا ..
فى سكْرة من وهْمِنا ..

ضاع الزمان ..
ضاع المكان ..
لم يبقَ إلا دمعتان
تتَحدَّران .. بجُرْحِنا ..
فوق القمر

لقاء الفكر

(كتبت فى يناير ١٩٩٧ ونشرت فى جريدة « الراية »
القطرية يوم ٢٥ يناير ١٩٩٧)

كم نلتقِي .. من غير أن نلتقى
فى حومةٍ تعْدُو .. ولا تلتقـــى
دوَّامـــةٍ .. دوّارةٍ بالـــرُّؤَى
ونحن فى إدمانها الشيِّـــق
وكلُّ فِكْرٍ حاضرٍ قلبُـــه
مغَيَّبٌ فـــى قوْقَع مغْلَـــق
وتنسِجُ الأيامُ أحلامَنـــا
خيُوطَ وهْمٍ .. فوقها نرتقـــى
يستشرِفُ الماضى على حاضرٍ
فيبزُغُ الآتى .. كطفلٍ نقـــىِ
نلْقاهُ بالتَّرحابِ .. لكنَّـــه
ينسَلُّ من حضْنِ المُنَى المشْفِق
ونسأل الأقلامَ أسرارَهـــا
والسرُّ .. حقاً .. صامتٌ ينْتقى

* * *

فى غَمْرة السعْى نسينا المَـدَى
ينْسأَلُ من عُمْرٍ .. بلا موْثِقِ
لا عهْدَ فيه غير أنْ نسْتَـــوِى
فكلُّنا ..فيه ..سعيدٌ ..شقِى
.. عقْدٌ تعلَّقْنا بحبَّاتـــــه ..
ما بين دُرٍّ ..أو حصًى مُحْرِق
فى رحلةٍ مَلاَّحُها شـــــاردٌ
أذْهَلَه المأمولُ عماً بَقِـــــى
..وزادُنا ..فى لُجّها ..صُحْبةٌ
فى كلّ حينٍ بالوَفا تسْتَقِـــى

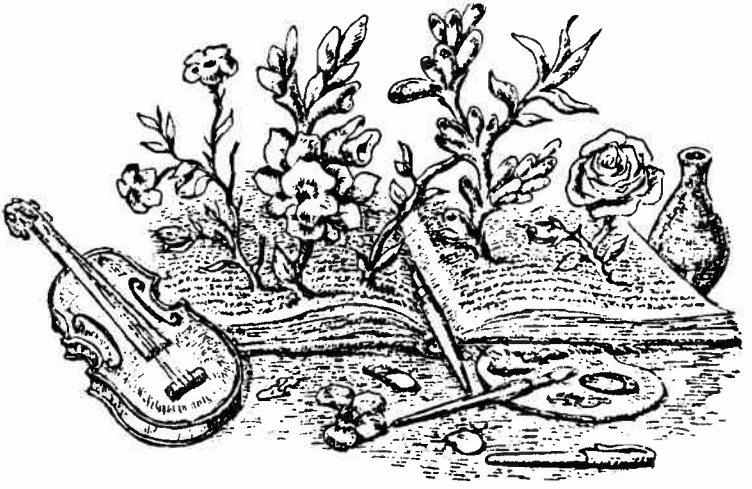

على أشلاء ماضينا

(كتبت فى مايو ١٩٩٧ ونشرت فى جريدة « الراية »
القطرية يوم ٢٠ مايو ١٩٩٧)

فى أرضِنا يستَنْوِقُ الجمَـلُ
والحقُّ يلبس ثوْبَه الدجَـلُ
والسيفُ يُغمد .. مالَه عمَـلُ
إلا لضرْب رقاب أهْلينـا

* * *

فى أرضنا أبصارُنا حُجُـبُ
تُخْفِي عن الألباب ما يجِـبُ
والشمسُ .. نوْماً .. دونها سُحُب
ما دام كشْفُ السِتْر يُخْزينا

* * *

فى أرضنا للعقـل أسْـوارُ
لا النُّور تُنْفِذُه .. ولا النـار
والفكْرُ أصنامٌ .. وأحجـارُ
مَنْ مسَّها عاداه نادينـا

* * *

فى أرضنا الأخلاقُ أسْواقُ
تُطْوَى وتنْشَـرُ ..كيفما تاقُـوا
والرأىُ مِزْمارٌ وأَبْـــــواقُ
لا تعْـبُـرُ الآذانَ .. تَلْقِينـــا
* * *

فى أرضنا الإنسانُ مطْلُولُ
والعُهْـرُ بالتوْقِيـرِ موْصُـول
والغارُ لايَرْعـــاه إكْلِيـــلُ
والعارُ ..فى الشُّريان..ساقِينا
* * *

فى أرضنا التاريخُ مُضْطَجَعُ
نغْفُو عليه .. ونحنُ نُقْتَلَـــع
نجتَرّ ذِكراه .. ونبْتـــدعُ
أنأ على جِنْحيْـه ناجُونـــا
* * *

فى أرضنا الأيامُ تَنْتَحِـــرُ
والعمْرُ حرْثٌ مالَهُ ثَمَـــرُ

طاحُون وهْمٍ .. فيه ننْحشـرُ
ومناجلُ الباغِيـن تَجْنِينـــا

* * *

فى أرضنا يُسْتأصَل النُّـورُ
والليلُ يحْمِى عَسْفَـه الـزُّور
ومصيرُنا فى الأُفْق محفُـور
لكنْ على أشْلاءِ ماضينـــا

* * * * *

ديانا

(كتبت عقب مصرع الأميرة البريطانية « ديانا » فيما يشبه التراجيديات الإغريقية - ونشرت فى جريدة « الشرق » القطرية يوم الإثنين ١٥ سبتمبر ١٩٩٧)

فَرَسٌ بيضاءُ
من أصلٍ عريقْ
قلبُها وَردٌ .. ورعدٌ .. وبُروق ..
أنْهت العمرَ سِباقاً عاصِفاً
مثلما أمْضته .. كالريحِ .. سِباقا
لهثتْ فيه .. حَوَالَيْها ..
تقاليدُ القصورْ ..
وعلى خطْو « ديانا » ..
فوق أعناقِ الحواجزْ ..
عَبْرَ أسْفار القلوب ..
رقصتْ أجراُ أحلام الغرام
دونَ قيدٍ من زمان أو مكان
تنشُدُ الثأرَ لجُرحٍ

نازف من عزْة الأنثى
ومن حُلم الوفاء ..

* * *

.. كانت الزهرةُ .. يوماً .. حالمة
ترقُبُ الطَّلَّ .. وتَرْعَى ..
همسات النسَمات الواعدة ..
.. ثم وافَتْها الليالى ..
بكتابٍ مَلَكىٍّ
طالعتْ فيه حكاياتٍ بديعة ..
عن غرامٍ ذهبِىٍّ آسِرٍ ..
وأهازيجِ هناءٍ .. وأمومةْ ..
ومضَتْ .. فى نشوةٍ..
تحْسوُ .. مع الأيام .. أفراحَ الحكاية
ويُغنىِ قلبُها
كلَّ حرفٍ فى سطُور الصفحة المُزْدَهرة ..

* * *

.. وإذا عاصفةٌ مسعورةٌ
تنْهشُ الحلْمَ الوضىءْ ..
تقلِبُ الصفحة فى عُمر « ديانا »

وهْىَ فى كفّ القدَرْ ..
لترَىَ .. عبْرَ الدموعْ ..
صفَحاتٍ حالكاتٍ تتوَالىَ
بحروفٍ كالخناجرْ
من قواميسِ التجَنّى والخَطايا
مزّقتْ قلباً .. وعُشاً
نسجَتْه الجنُّ .. فى حضْن أساطيرِ الهناءْ ..
بعناقيد الضّياء
.. وطفَا الحزنُ .. كقطْرَانٍ
على نهرِ .. العسل ..
ثم غار النهرُ .. قهْراً ..
فى صحارىَ من وقارٍ كالكفَنْ
وطقُوسٍ ملَكيَّة
تسْجِنُ الآهةَ فى صدْر الشَّجَن ..
وتُوَارى ثورةَ النفْس ضريحا
من تقاليدِ الدّمَنْ..

* * *

.. واستحال الجُرْحُ فى القلب حريقا ..
ثم بُركاناً تهاوتْ ..

بين شِدْقَيْه .. المَراسم ..
وانْطوتْ .. فى حمَمِ الثورة ..
أسْوارُ الشعور ..
وطغَى الموجُ على كلّ الجُسور ..
.. لم يعُدْ عمرُ دياناً
غيْرَ بحرٍ مُضْطرِمْ ..
وهْىَ فيه فى بهاء السَّمَكة
وانطلاقٍ واثق لا يرْعَوى ..
كالتَّحَدّى فى وُجُوه التَّهْلُكَةْ ..
كم شباكٍ حاصرَتْها ..
ولَها .. فى كلّ يومٍ .. قصَّةٌ فى شبَكة ..
.. كانت « السالمُون » .. فى لألائها ..
تتقَصَّاها قُرُوشٌ ضارِيةْ
من عطايا عصرِنا هذا القبيحْ ..
كلُّها يسعىَ بأنيابٍ جديدةْ
من حديدٍ وزُجاجٍ و « فلاشات» غَوِيَّةْ ..
فى خفاءٍ تتلصَّصْ
ثم تنقَضّ على أعْمَق أنفاسِ الضحيَّة
تَنْهشُ الجوْهَرَ والسرَّ المصُون ..

خيْرَ قُرْبانٍ لدُولارٍ سمِين
هاجَه جُوعُ العيون ..

* * *

و«ديانا» بين أمواجِ الهوىَ
لا تُبالى كيْدَ تيَّارٍ دفينْ
يتمشىَّ فى حنايا
أدْعياء المدنيةْ ..
فالفتىَ الأسمرُ .. فى أعرافهم ..
أضْحىَ خطِيَّة ..
ذُونها كلُّ الخطايا ..
طالما أفْضَى إلى مُهجةِ
ذات ملَكيَّةْ ..
هكذاً أفْتَى فحيحُ العُنصريّة ..
بينما تسعىَ القروشُ الدائبة ..
فى سُعارٍ لا ينام ..
تفرشُ الليلَ .. كمائنْ
جفلَتْ منها الفريسة ..
واشْرأبَّ الليلُ .. ذُعرا ..

حينما جُنَّ الطِّراد
ثم صكَّتْ مسْمَعَ القرْن العجوزْ ..
وفؤادَ الليل .. أصْداءُ الصَّـدام ..
واكتَسَى الوردُ بلوْن الفاجعة ..

* * *

.. واسْتَدَرَّتْ كلَّ أنواع الدموعْ ..
فدموعٌ ساخناتٌ من قلوب مُتْرَعة ..
ودموعٌ من حُبيْبات الجليد
لمعتْ فيها الشماتة ..
في وُجُوهٍ كلُّها من أقْنعة
كلُّها تُخْفي ثعابينَ أطلَّتْ ..
من جُحورٍ جامدة ..
تغرسُ السمَّ بأنيابِ الرِّياء
في شرايين الحياة ..
.. وطغَى الليلُ على وجْهِ القمر ..

* * * * *

خلجان الوهم

(كتبت فى يناير ١٩٩٨ ونشرت فى جريدة « الراية » القطرية
فى يوم ٣ يناير ١٩٩٨)

نوْماً .. نتعمّق فى خلْجان الوهْمِ
لنصطادَ الكلماتْ ..
ومن الكلماتِ نصوُغ الكونَ بداخلنا
عُرْساً للقلبْ ..
أنْشوطةَ حُب ..
زلزالاً .. هماً .. تنّينا ..
أغْلالا .. جُرحا .. سكّينا ..
ويفيض الوهمُ على الدنيا ..
بَسَمات .. ملْءَ أمانينا ..
عَبرات .. ملْء مآقينا ..
.. ويخوُض الوهمُ بِنا الأزْمانْ
فنرى ما كانْ
يتشكّلُ فى رحمِ الدنيا
ويعربدُ .. فى ليل الأشجانْ ..
وتجلْجِلُ فيه مصائرُنا ..

وتحوُم عليه بصائرُنا

* * *

.. ويغيضُ الوهم
ونعُودُ لننْسِجَ .. بالكلمات ..
شَرانقَ تُؤْوِى شقْوَتَتا ..
والفكْرُ حرابٌ ساخنةٌ
تتعمَّق فى كبِد الوجدانْ ..
وتولْولُ فى دمنا الحسْرَةْ
ويشُبُّ حريقٌ لَا يَهْدأ
فى كلّ شرايين الذِّكرى ..
ويدُور الكونُ بأَنْفُسنا ..
كُرَةً من نارْ ..
ويخَلّى الحاضرُ للماضى
قلبَ الإعصارْ ..
وتصيرُ الأنفُسُ دوَّامةْ
تمتَصُّ الكونْ ..
وتبلْبلُ دُنيانا ألوانُ الطيفْ ..
ما بيْن زمانٍ يَسكُننا
ومكانٍ يبحث عن سكَنٍ

لظلالِ الضيفْ ..
وخواطرَ تكْنُفها الأكْفان
وشِباكٍ تنْصبُها الحيْرَة ..
فوق الإنسان ..

* * *

.. وبكُلّ عيونِ بصائرِنا ..
ننكَبُّ على مرآة الكونْ ..
نتفَرَّسُ داخلَ أنْفُسِنا
نتمنَّى لو نلْقَى شيئاً ..
فإذا الأشياءُ تُخايِلُنا ..
فوق الأشياء ..
تحت الأشياءْ ..
حوْلَ الأشياءْ..
لكنْ لا شيء بأيْدِينا ..
إلا الأسماءْ..
إلا كلماتٍ صُغناها
من وهْمِ الوهْم ..

* * * * *

جارودى .. والمحرقة

(كتبت فى يناير ١٩٩٨ تفاعلاً مع المحاكمة القمعية لجارودى وفكره أمام القضاء فى فرنسا - بلد الحرية !! - ونشرت فى جريدة « الشرق » القطرية فى عددها الصادر يوم الإثنين ٥ يناير ١٩٩٨)

فى عصْمَةَ ما أسْمَوْهُ بلادَ النُّور ..
ينقضُّ غُرابٌ مغْمُوسٌ بسَوادِ الليل ..
.. وبمخْلَب صُهْيُونَ
الموْصُول إلى رُمْح التُّولار ..
تندَسُّ سطُورٌ من ظُلْمة
فى قلب شغاف الحرّية ..
فى أعمق أعماق القانونِ
المُفْعَم ريْحانَ الثورة
والفجْر البازغ من ليل الطُّغيان ..
.. ويُطِلُّ كفاحُ بنى الدُّنيا
عبْرَ الأزمان ..
كىْ يقْرأ .. فى وهَج الدَّهشة ..
كلماتِ نُصُوصٍ مشبُوهة ..

تتسلَّل فى الصفحات ..
تفحُّ .. كما الثُّعبان :
« أعلنْ عصيانَك للسلطان ..
جاهرْ بمُرُوقِك من كلِّ الأخلاقِ ..
من الأديان ..
أشْتُم عيسى ..
جاهرْ بعدائك للرَّبِّ الدَّيّان ..
قُلْ إن العالَم أكذُوبة ..
نمّقْ ما شئتَ من الهَذَيان ..
لكنَّ الويْلَ .. وكُلَّ الويلِ ..
إذا ما ارتَبْتَ .. ولو لحظة ..
فى كَمْ عِبْرياً .. بالتحديد ..
رماه النازى فى الأفران »..

* * *

.. فهُنا قُدْسُ الأقْداس ..
كما شاء الدولارُ .. يُعَمِّدُه الحاخام ..
وهُنا سُحْقاً للحرّيةْ ..
للعلْم .. وكلِّ فُتُوحات الأفْهام ..

وهُنا فَلْيَهْنَأ بِن جُورْيُونُ
وكلُّ طواغيت البُهتان ..
.. فاليوْم المحْرَقَةُ الحقَّة ..
للفكْر وكلّ ذُرا الإنسان ..
جارُودى .. سُقْراط .. اسْتَوَياَ ..
فحريقُ الفكْر بلا عُنوان ..
وَمحارِقُه تعْوِى .. حمَما ..
يحميها عُبّادُ الأوْثان
كُهّانُ الزيْف المُسْتشرِى
فى كلّ شرايين الدنيا
« بالإنْترنتْ » .. وبالتّلْفازِ ..
وكلّ مطارقِ هذا العصرِ ..
تُشكّلُ وجْدانَ الأجيالِ
مُسُوخاً .. فى محْراب العَسْف ..
تسبّحُ .. بالعبْريّة .. للدولارِ
وللبيت المَدْهُونِ
بلوْنِ حليبِ شُعوب الغفْلَةِ والنّسيان ..

* * *

.. والشيخُ الوادع جارُودِى
يتفجَّرُ بالفكْر شبابا ..
ويصُبُّ الصَّدقَ .. شآبيبا ..
تجتاح سَراديبَ الباطلْ ..
ويدُقُّ على بابِ المحظُورِ
بمطْرَقة البُرْهان..
والفكْرِ العملاق المتولِّدِ
من رَحِم الشيخوخة ..
فى أوْهَى بنْيان ..
وبه يتَربَّصُ جوْفُ السجنِ
وينْسجُ محْنَتَه السجأن ..
والشيخُ كمثْل العَلْقَمِ
فى فَمِ أهْلِ الإفْك وفى دمهم ..
لا صنْعة فيه .. ولا قَوْلان ..

* * *

.. وتلفَّتَ وجدانُ العالَم
ليَرَى .. فى غمْرة سكْرته ..
رايات تلْفَحُها الحسْرَة ..

تترنَّحُ فوق ضفاف السّين
وفوق « البرُج» .. مبلْبلَةً ..
نتساءلُ كيف ترفْرفُ .. بعْدَ اليوم ..
مَعانٍ يعشقُها الإنسانُ
مثلَّثةَ الألوان .

«سيزيف» (١) .. والصخرة

(كتبت فى يناير ١٩٩٨ ونشرت فى جريدة « الشرق » القطرية يوم الإثنين ١٩ يناير ١٩٩٨)

فى حُلكة كهفٍ يكتنف الوجدانْ..
ألقيتُ رِحالَ الفكْرِ ..
وأسْرجتُ الفنديلَ بروُحي .. فى الغُربة ..
ونثرتُ الماضِىَ والحاضر ..
جمْراً يتوقَّدُ .. فى كفّ الأشجانْ ..
وتراءىَ لِي .. بين الأطياف ..
على جُدران مغارِ الهمّ ..
« سيزيفُ » .. بداخلِ كلّ مناً ..
يُنْهِكه صخْرُ الأيام
ويُزحزِحُ .. فى وَهَج الأحلام .. الصخْرَ ..
صُعُوداً فى جبل العمر ..
المتلاشي فى غيم الغيب المُرْبدّ ..
وفى حِضن الأوهامْ ..

ويعُود الصخرُ يدحْرجُنا

للسفحِ الغارق فى الظُّلمة ..

***

وينوْب النفْس .. نصوُغ سؤالاً للدنيا :

« حتَّامَ ؟؟» ..

فتلْطِمُنا الأفلاكُ بصمْتٍ

فيه تؤَبِّدُ شقْوتنا ..

ونهدْهِدُ طفلَ الحُزن ..

على صدر الصبر الدامى ..

وليالى الشوْك تمشِّطُه ..

جُرْحاً .. جرحا ..

وتصبُّ العلْقمَ مصهُورا ..

فى كل تجاويف الذكرى ..

***

وتلُوح نجومٌ فى أعماق اليأس .

فيصْحُو وقْدُ أمانِينا ..

ونخالُ الأنْجُمَ تُومضُ

فى أعلى الجبَل المسحُورْ ..

ونعاود زحزحةَ الصخرةْ ..

أعْلىَ .. أعلىَ ..

وركامٌ .. فوق ركام .. يُثْقلُها ..

من إخفاقاتٍ خُضْناها ..

أو خاضت أعماقَ الإنسانْ ..

فى كلّ غَيابات الأزمان ..

***

.. ولمحْت .. بداخلنا .. للكوْن سِجِلاً ..

يحْوِى كلَّ صنُوف الخلْقِ ..

بوَجْهِ الأرض ..

من الأنْسامِ إلى البركانْ ..

ولياليَ تلْهثُ .. تَكْتُبنُا ..

حرْفاً .. حرفا ..

فى صلْب الملحمة الكبرىَ ..

.. وسَواقيِ الموكبِ تسْكبنا ..

قَطراتٍ فى بحر الدهر الهادرْ ..

.. وعلى أكْذوبة أنْ نحيا ..

نتعمَّق فى الموت الممتَدّ ..

بطُولِ العمر ..

وفوق جبال أمانِىّ الحيْرَة ..

.. ويعُود الصخرُ يدحرجُنا ..

من موتٍ يسكُن فى القمّةْ

للموتِ القابع فى الوديان ..

***

وانداحتْ كلُّ بِحار الفِكْرِ

إلى صفْرٍ ..

والتَفَّ .. ليكْنُفَنىِ .. دوُلابُ الساقية القاهرْ ..

فمضيتُ إلى ما سوف يكونُ..

يُخامر أقداريِ ما كان ..

*****

(١) « سيزيف » فى الأساطير الإغريقية هو الشخص الذى حكمت عليه الآلهة بأن يظل يزحزح الصخرة إلى أعلى الجبل ثم يهبط منه الصخر إلى السفح فيعود يزحزحه من جديد إلى أعلى .. وهكذا إلى الأبد .

الطوفان

(كتبت فى فبراير ١٩٩٨ ونشرت فى جريدة « الراية » القطرية
يوم السبت ٢١ فبراير ١٩٩٨)

رقَص الطاغوتُ على الميزان بكوْكبِنا ..
فاختلَّتْ أقدارُ الأحداث
وجُنَّت أوْزانُ الأزمانْ..
وتبدَّلتْ الأدوارُ علىِ المسرحْ
واختال السفَّاحون بأرْديةَ الكُهَّان..
وترنَّح مدْلُولُ الكلماتْ
وتسرَّب من يدنا معنىَ الإنسان ..
وتوحَّش قاموسُ الأيامْ ..
لانقرأُ فيه .. من الأفعالِ ..
سوَى ما تقْطُر منه دماءْ ..
لانقرأ فيه .. من الأسماءِ
سِوى الأشْلاءْ..

.. وتغضَّن وجهُ الأرض .. أسًى ..
وتحوَّلتْ الأيامُ حرائقَ
تأكلُ كلَّ بساتين الوجدانْ..
وأصاخَ الكونُ لنبضِ الأرض .. بحُرْقَتِها
تتفجَّرُ من قلبٍ مصهورٍ
مشْبُوب الأحزانْ..

***

.. ومضَتْ طَرقاتُ الدهر
تُشَكِّل معدِنَ دُنيانا ..
حتى استرْخَتْ .. فى كفِّ البطش ..
ضمائرُ كانت تستعْصِى ..
وتماحتْ كلُّ أغانينا ..
وأمانينا ..
واستعْلَى صوتُ الحاسبِ ..
و« الحاسوبْ» ..
واستخْزَى صوتُ الإنسان المحسُوبِ

على آلاتٍ قُدْسيَّةْ
يتحوَّلُ فيها القلبُ إلى قُرصٍ ..
وتُبْرمجُ .. حتى حقَّ الحُزن ..
وتصكُّ دموعَ القهر قلائدَ للعُدوانْ ..

***

.. وألِفْنا « هارْمُونْياتِ » سِفاحٍ
يطغَى فيها صوتُ رنين المالِ
على أنّاتِ الثكلَى ..
ويغُولُ ضجيجُ « السوقِ »
نحيبَ قرابين البُهتانْ ..
واعتاد أديمُ الأرض دِماءَ الإنْسِ
إلى حدِّ الإدمان ..
وغدا الإفْطارُ على أخبار الذَّبحِ
كبَعْضِ لوازمِ كلّ صباحٍ ..
فى كنفِ الغفْلةْ..
ويُكَفِّنُه الصمتُ الموْصولُ .. من الأحداقِ ..

إلى الأعماق .. إلى الألباب .. إلى الألسُنْ ..
وتواصَتْ .. حتى الأنْجُم .. بالكِتمانْ ..

***

لكنَّ هنالك شيئاً ما
يتحوْصَلُ فى نبْض الحاضرْ ..
ويُغالِب كلَّ مبيدات الرُّوح الخضراءَ ..
ويَنْبُشُ أغْوارَ السَّكْرَةْ..
.. وخِلالَ زُيوُف « الإنترنتَّ» .. مع التِّلْفازِ ..
تلُوحُ معالمُ داميَةٌ للحقّ
تُخالِسُ أستارَ الزيف الفتَّانْ..
وتخُطُّ فواجعُها فى كلّ ضميرٍ
أنْ قد أصبح كلُّ الإنْس شُهودَ عَيانْ..
يتأجَّجُ فيهم .. مهْما وَارَوْا .. وزْرُ الصمتِ ..
ووزْرُ العجْزِ .. أمام العسْفِ
الوالغِ فى كبِد الدنيا ..
وأمام فواجعَ تُتْخِمُ هذا العصر ..

فيوُشك أنْ يتفجَّرَ بالتاريخ ..
وبالمَسْطُورِ .. بسِفْرِ الغيب .. من الأشجانْ ..
.. وعلى الآفاق .. بعُمْقِ الدهر .. يُطالعُنا
غيْمٌ .. جَهْمٌ .. يتلبَّدْ ..
وغداً .. من وزْرِ العصر ..
يُداهِمُنا الطوفان .

*****

حينما رحل الهزار
فى رثاء الشاعر الكبير نزار قبانى

(كتبت فى مايو ١٩٩٨ عقب رحيل الشاعر الكبير ونشرت فى جريدة

« الراية » القطرية فى ٩ مايو ١٩٩٨)

سقطَ القلمْ

من راحة الشِّعر الحنون

وتأوَّهَ القيثارُ .. مخنُوقَ الشجون ..

.. وتصبَّبتْ .. دمْعاً ..

عيُونُ قصائدٍ .. كَمْ أترعَتْ

خُضْرَ القلوبِ

رحيقَ ما ضمَّتْه .. بالشوق .. السنُونْ

.. وتلاطمَتْ بين السما والأرضِ

أصْداءُ الخبَرْ ..

***

فنِزارُ .. فى أعْتىَ مفاجأةٍ

يدُكُّ بها المشاعرَ .. فى القصيدْ..
قال : « الرحيلْ » ..
وهزارُ ديوانِ العربْ
حمَلَ المشاعلَ فى الجوانحِ .. واغْتَرَبْ..
وتلاطمَتْ.. فى أبْحُرِ الشِّعر..
المعانِي الباكيةْ
وتواثَبَتْ .. جزَعاً .. على الموج .. الحُروفْ ..
.. فنزارُ كان الحرْفُ دُنياهُ ..
فتُوقَدَ فى الحروف النارَ .. أحيانا ..
ليشْوِىَ .. فوْقَها .. نوْمَ العروبةِ
والكواسرُ .. حوْلَها .. يقْظَى .. تحوُمْ..
وأسالَ .. حيناً .. فى الحروف النُّورَ ..
يرفُلُ .. فى نَداه .. العاشقونْ ..
.. ونزارُ أذْكَتْهُ اللواعجُ فى النفوس المُوجَعَةْ
ونزارُ خَطَّ كمِثْلِ كىّ النار ..
فى شتَّى الهموم المشْرقيَّةِ .. مبْضَعَه ..

.. ونزارُ ذاقَ نصيبَه الأوْفىَ..
من الألمِ النبيل .. وصاغَه
للناس .. أشعاراً
تُسافرُ .. فى مغانِيها .. القلوبْ..
.. حتى تذُوبْ ..
ونزارُ كان نزارَ ..
فى كلّ المواقف والخطُوبْ..

***

.. كَمْ قال للدنيا .. سُدىً .. لاتكذبى..
لكنّها .. وهىَ اللّعوبُ الخالدةْ ..
كذبَتْ على كلّ البشَرْ..
ما غادرَتْ من عبقرِىٍّ ..
لمْ تَكلّفه الرَّدىَ ..
مَهْراً لها .. وهى العروسُ الشاردة ..
.. ونعُودُ نبحثُ .. فى ليالى الأمسِ ..
عن ومْضِ الأثرْ ..

ونضمُّ .. فى حرْصِ البخيل ..
جميعَ ما تَركَ المسافرُ من دُرَرْ ..
حتى إذا بَعُدَ المَسارْ
بين الرحيل والانتظارْ..
وجَدَ المخَلَّفُ فى الحياة ..
مع الوجوه الواعدةْ..
أنّ الذين مضَوْا .. من الشُّمِّ الشَّوامخِ ..
حاضرُونَ بكلّ سطْرٍ فى كتابْ..
وبكلّ أُغْنية يهدْهِدُها النسيمُ
ويرْتَوى منها السحابْ..
.. وبكلّ نبْضةِ مُهْجةٍ
عرفَتْ جلالَ صنيعهم ..
للفكر .. للإنسان ..
فى هذا المزيج العبقرىّ ..
من التألُّق .. والعَذاب ..

*****

خمسون عاماً

(كتبت فى مايو ١٩٩٨ ونشرت فى جريدة « الشرق » القطرية
فى ١٩ مايو ١٩٩٨)

خمسون عاماً ..
خاصَمَ التاريخُ فيها
كلَّ أمجادِ العربْ ..
حين اشتروا .. فى سكْرةٍ مجلُوبةٍ ..
ثوبَ الترَفْ..
فى وَشْيِه الخلاَّب طاعُونُ الشعوبْ ..
.. وتخفَّفُوا من كلّ أعْباءِ الخُشُونة ..
واختلاجاتِ الأُخُوَّةِ .. والإباءْ ..
وجميعِ ما صانتْه .. كالكنزِ ..
الضمائرُ والقلوبْ ..

***

خمسون عاما ..

والحرائقُ فى فؤاد المسجد الأقصى ..

وفى كبِد الكنيسة ..

حسْرةً حَرىً

على جِيلٍ تكفَّنَ بالهزائم والسخائمِ ..

.. غارقاً فى القارِ ..

فى الآبار ..

يحسَبُ أنه حىٌّ

إذا استَجْدَى الحياةْ..

.. خمسون عاماً .. والعربْ ..

ليسوا العربْ ..

***

.. ونظرْتُ .. عبْرَ ضبابِنا الدامى ..

إلى بحر الزمنْ ..

ورأيتُ كيف انهالت الأخطار ..

والأحجارُ..

من أرضِ الفرنْجَةِ ..
تبتَغى رأسَ العروبة ..
وهْىَ تَسْبَحُ .. صامدةْ..
فى قلب تيّار النضال المحتدمْ..
.. ورأيتُ كيف ارتَجَّ سطحُ البحرِ ..
مضْطَرباً .. بآلاف الدوائرِ ..
نابضاتٍ بالمحَنْ ..
.. ويعُود يمْحُوها الزمنْ..
ويمُدُّ كفاً .. من جَلال الغيْبِ ..
تَمْسَحُ .. بالطِّيوبْ..
رأسَ العروبة .. وهْىَ تَبْزُغ..
.. من جديدٍ .. فى بهاء المجْد..
فى بحرٍ بلا زبَدٍ غريبٍ .. أو عفَنْ ..

***

.. ورأيتُها .. خمسينَ دائرةً
تعانِدُ سطْوةَ البحرِ ..

التى .. بالحقِّ .. تمْحُو
كلَّ ما خطَّتْ على السطح الأباطيلُ
المغِيرَةُ بالسلاح وبالفِتَنْ..

***

.. ونظرتُ فى مرآة تاريخِ العربْ
فرأيتُ وجْـهىَ .. وجْهَ هذا الجبِلِ..
مغْبَراً .. تلطِّخُه .. كما القار .. الهزائمْ
.. وتشُقُّ صفْحَتَه جِراحُ غائراتٌ ..
من سكاكين التفَرُّقِ والتشرذُمِ
.. طافحاتٍ بالصديد .. وبالعطَنْ ..
.. ولمحتُ .. فى إطْلالة العيْنَينِ..
أغْوَاراً تولْوِلُ بالضَّياع المنْهَدِمْ..
.. واصفَرَّ قلبى .. صُفرةَ اليأسِ ..
المسَجَّى فى العدمْ..

***

لكنّ طفلاً مرَّ بالمِرآة
فى عينيه ملْحمةٌ .. وفى يده حجَرْ..
وصغيرةً وقفَتْ تصيحُ .. تحدّياً ..
فى وجه طاغُوتٍ مدَرَّعْ ..
.. وفتىً تسرْبَلَ بالفِدا ..
وانقَضَّ نحو الغاصبين .. قذيفةً..
والقلبُ مدْفَعْ..
ومقاتِلاً .. فى العاشر المشهُودِ من رمضانَ
.. يرفع صيْحَةَ التكبيرِ ..
نبراساً .. أضاء بهاؤُه المِرآةَ ..
فانتفَضَتْ .. على السطح الصَّقِيلِ ..
النفْحَةُ الأُولى لإشراق الأملْ..
.. وأطَلَّ منه ابنُ الوليد .. وطارقٌ ..
وجميعُ أبناء الزمان العبقريّ المرتَحِلْ..
.. وتواثبَتْ .. فى النُّور ..
أطيافٌ .. تعَمِّدُ .. بالدمِ العطْرِىّ..

أجيالاً بأرحام السنين الواهبة ..
وتردُّ .. نحو الشرقِ ..
إبْحارَ القلوبِ الزائغات .. الغاربةْ..
فغمستُ قلبِىَ فى الغدِ المأمولِ ..
يملؤُنى عنادُ الطفلِ ..
صلْباً .. طاهراً .. لا لَبْسَ فيه..
ولايزلْزَلُ .. أو يَمَلّ..

*****

قبل السفر

(كتبت فى يوليو ١٩٩٨ ونشرت مقاطع عديدة منها بعنوان [مقاطع من قصيدة « قبل السفر »] فى مجلة التنوير الثقافى القطرية - العدد الأول - الصادر فى ديسمبر ١٩٩٨)

قبْلَ السفَرْ . .
كان السفَرْ . .
وجلستُ . . والزمنُ المسجَّى فى الغيوبِ
يحوطُنى . .
وحقائبى ترنُو إلىَّ . . بأَعْيُنِ الإشفاقِ . .
مغمورًا براووُق الضَّجَرْ . .
كلُّ الحقائب قابعاتٌ . . فى انتظارٍ
. . كالقطيع المرتَحِلْ . .
مفتوحةَ الأفواه . . فى صبرٍ . .
لتلْقُفَ كلَّ غالٍ مُجتَبىً . .
من كلّ ما عايشْتُه . . فى غُربةٍ . .
طالت . . فأضحَتْ . . فى كيانى . . موْطناً

ترتادُ فيه جوانِحى .. يُسْراً ..
كما ألِفَتْ خُطايا ..

***

.. وخواطرِى .. حِيناً ..
تسوُخُ النفْسُ فى مستنقعٍ منها ..
وخِيمٍ .. معْتَكِرْ ..
وخواطرى .. حيناً ..
تعرْبدُ .. فى الفؤاد .. وفى الحَنايا ..
وتئزُّ .. فى جَنَبات فكْرِىَ .. والحَشا ..
أزَّ انطلاقاتِ الشظايا ..
.. ماذا تراني سوف أحملُ فى رِحالِي
من زمانٍ ضمَّهُ هذا المكانُ .. وضمَّنِى
.. رغْمَ الطُّيوف النائيات
هناك .. فى أرض الوطنْ ؟

***

.. وهُنا .. كما لغرائبِ الأشجارِ ..

قد نبتَتْ لأغصانى جذورٌ
ضارباتٌ فى صميم الأرض والوجدانِ ..
لاتنْوِى فَكاكا ..
ووجدتُ أنّى .. خلْفَ تَحنانى
نصَبْتُ لطائرِ التَّرْحالِ ..
فى نفْسى .. شِباكا ..
.. كُلُّ الصداقات التى نبتَتْ ..
على جَنباتِ نهر الغُربة الدفَّاق
بالأشواق والشجَن الخصيبِ ..
تواثَبَتْ فى خاطرى
وتعلَّقتْ بالقلب .. كالأطفال
إذ يتعلَّقُون بثوبِ من أَلِفُوا ..
بإصرار المحبّةِ والبراءة ..
لا يُطيقُون افْتراقا ..

***

.. وهفَتْ فراشاتُ الحنينِ على جَنانى ..

هابطاتٍ .. من سحابات الغدِ المخْبُوء..
تَشهدُ حاضرى ..
فإذا فؤادى سابحٌ فى الشوق ..
من قبل الرحيل ..
بلهفةٍ لجميع ما حوْلى ..
كأنّى قد نأتْ بِى عنْه
أعماقُ السنين ..
.. وتقافزَتْ .. مثْلَ الشِيّاه البِيضِ ..
فى مرَح ..
مباهجُ رطَّبَتْ قيظَ الزمان .. بغُرْبتى ..
فيضُمُّها الوجدانُ..
فى جزَع لفُرْقتها الوشيكة ..
ضمَّةَ الأُمّ الحنون ..

***

.. ربَّاه
هل حتْمٌ علينا أن يطارِدنا السفَرْ ؟

.. نلجُ الحياةَ ..
مفارِقين الدفْءَ فى الرَّحِم الرَّؤُوم ..
مسافرين .. مع الزمان .. مع المكان
.. إلى عَذابات البشَرْ..
.. ما نألَفُ الصفْوَ البريءَ
مع الطفولة والصِّبا ..
حتى نسافر .. عُنْوةً ..
نحو الشباب المبْتَلَى بلواعجِ الأشواقِ
.. والوجْدِ المؤَجَّج فى القلوبِ..
وبالحرائق فى ثَوابتِ ما سُقِينا ..
مُذْ وُلِدْنا .. من فِكَرْ..
ونهِيمُ .. من سفَرٍ إلى سفرٍ ..
ويزداد الرِّحالُ على الكواهلِ ..
تحملُ الدنيا ..
فهلْ .. دونَ الردىَ .. من مُسْتَقَر ؟

***

.. وتنهَّدَ الوجدانُ ..
ينفُثُ حيْرَةً ملَكتْ نُهايا ..
.. ماذا سأحملُ فى رِحالى ؟
ماذا من الماضى .. وماذا للمؤَمَّلِ
فى غَيابات الزمان المنتظِرْ ؟
.. وتفطَّرتْ .. وجْداً .. جوانحُ غُرْفَةٍ ..
مُزجتْ بأنفاسى
وصارت كلُّ همْسةِ نسْمةٍ فيها صدايا
.. وانْورَّتْ الساعاتُ عن مَسْرَى الزمانِ
.. وعشَّشَتْ .. حتى الثوانى..
فى سماء القلب ..
كالمُزن العميم..
وأمطرَتْ سيْلاً من الأفكار
ينبُضُ فى الخيال .. وفى دِمايا ..
ووجُوهَ أصحابٍ وأتْرابِ اغْترابٍ
لم يعُدْ .. بهمُ .. اغْترابا..

ونوادراً .. وخواطراً .. دارت كئوساً بيننا
.. فى صُحبةٍ تتداولُ الصفْوَ النَّدىً ..
وكلُّنا فيها .. لأنفُسِنا مَرايا ..

***

.. وبدتْ وشَائجُ مَوْطِنى ..
ووجُوهُ أصحابى به .
أطْيافَ ذكرى ..
أوشكَتْ أن تنطَوىِ فى السيل ..
لولا أنْ تداركَها حنينٌ عبقرىٌ..
للجنور وللمَدارج فى الشباب وفى الطفولةِ ..
.. كامنٌ فى قُمقم فى النفْس .. مكَتُوفاً
.. وأطْلَقَهُ التَّدافُعُ
فى عُباب الحيْرة الطَّامِى ..
فجلْجَلَ .. مارِداً ..
يأبىَ شريكاً فى حِماه .. وفى مُنايا ..

***

.. وتمزَّقَتْ دُنياىَ أشْلاءْ ..
تنازعَتْ المَواطنُ حولَها ..
ووشائجُ شتَّى ..
وأسْرابُ اللَّواعجِ .. والفِكَرْ ..

•••

.. وعلى الخُوانِ حقائبى ..
فى صبرِها العُذْرِىَ ..
مازالت تُسائل حيْرتى .. عبْر السكون ..
حتى السكون يمرّ فينا ..
كالسفَر .

حسين نجم

«الإخراج الفني للديوان بريشة المؤلف»